إضاءة

جمال حمدان حتى لا يغيب العرب والمصريون عن التاريخ

مذكّرات الجغرافي في عزلته

في مذكّراته التي صدرت بعد رحيله بثلاثة أعوام، تتّضح خلاصة مشروع الجغرافي المصري حول إمكانية تجاوز أزمات مصر والعالم العربي اقتصادياً واجتماعياً، واستعادة العُمق الاستراتيجي في مشروع سياسي وفكري بمواجهة عدوّين: الصهيونية والاستعمار

محمود منير

في ليلة السابع عشر من نيسان/ إبريل عام 1993، عُثر على جثّة احتُرق نصفها السفلي داخل شقّة تقع في شارع أمين الرافعي بحيّ الدقّي القاهري. حادثة ظلّت لغزاً لم تُكتشف حقيقته حتّى اليوم، خصوصاً بعدما أشار تقرير وزارة الصحة المصرية إلى أن صاحب الجثة، الجغرافي المصري جمال حمدان (1928 - 1993)، لم يفارق الحياة بسبب اختناق بالغاز أو احتراق مطبخه.

وقائع غامضة تضاعفت الشكوك حولها بسبب اختفاء ثلاثة مخطوطات من مكتبته الخاصّة كانت في طريقها إلى النشر، وكان واحدٌ منها حول الصهيونية واليهود، دون أن ينال الحرق أيّة مؤلّفات أخرى فيها، حيث رُفعت أصابع الاتّهام إلى «الموساد»، لكنّ التحقيقات توقّفت بسبب غياب الأدلّة، ما منح صاحب كتاب «شخصية مصر» بُعداً أسطورياً يضاف إلى حياة عاشها على الهامش بعيداً عن الأضواء.

قرّر حمدان ترْك عمله مدرّساً في «جامعة القاهرة» عام 1963 بسبب تعاظم إحساسه بالظلم، تأخير ترقيته للأستاذية وحصول زميل آخر أقلّ كفاءة عليها، فانسحب من الحياة الأكاديمية والعامة إلى عزلته التي امتدّت لثلاثة عقود، وأتى ذلك بعد فشله في علاقة عاطفية عاصفة عاشها خلال دراسته في «جامعة ريدنغ» بلندن لنيل درجة الدكتوراه في الجغرافيا، ليعيش عازباً حتّى رحيله. خلفية أساسية لا يمكن الاستغناء عنها عند دراسة سيرة رجل بدت عليه علامات الاختلاف والتفرّد وهو لا يزال على مقاعد الدرس. وهو ما ظهر مبكّراً، منذ إلقائه محاضراته الأولى في الجامعة مطلع الخمسينيات، حيث بدا مهموماً بانشغالاتٍ رأى أنها من صلب تخصّصه الأكاديمي، تتعلّق بالبعد الحضاري لمصر والعالم العربي، وإمكانية تجاوز أزمات الزراعة والانفجار السكّاني وعشوائية العمران وتغوّل نزعة الاستهلاك والرأسمالية، واستعادة العمق الاستراتيجي في مشروع سياسي وفكري بمواجهة عدوّين أساسيّين؛ الصهيونية والاستعمار.

مقاربة حمدان للجغرافيا - باعتبارها حقلاً معرفياً يستمدّ معطياته من التاريخ والفلسفة والأنثروبولوجيا والاقتصاد وعلوم السكّان والسياسة - بدت مغامرة كبرى، تُعزّزها شخصيته الراديكالية في عيشه كناسكٍ متقشّفٍ بلا موردٍ ثابت للرزق، أو في معاركه التي خاضها في اتّجاهات متعدّدة ضدّ تحويل بلاده إلى «محمية أميركية تحت الوصاية الإسرائيلية»، نتيجة تخلّيها عن الحقوق المصرية والعربية وتوقيعها معاهدة سلام مع «إسرائيل»، أو في قناعاته الشديدة أن كلّ حجر يُبنى في القاهرة هو على حساب الريف المصري الذي كان وسيبقى خزّان الغذاء وأساس أيّة خطط للتنمية توضع اليوم أو في المستقبل.

كان الراحل حذِراً في طرح مقولاته ومواقفه التي لا تقبل المساومة والتفاوض حولها، كما أبرزتْ ذلك مؤلّفاته، إلّا أننا في كتاب «جمال حمدان.. صفحات من أوراقه الخاصة»، الذي صدرت طبعته الأولى بإعداد وتقديم شقيقه عبد الحميد صالح حمدان عام 1996، نعثر على تعبيرات أكثر وضوحاً وحسماً تجاه العديد من القضايا التي ما تزال تشغل مصر والعرب حتى يومنا هذا. في الفصل الأول، تواجهنا جملة شذرات مُسوجة بغضب لا يُبعدها عن أصل المشكلة التي يتناولُها صاحب «استراتيجية للاستعمار والتحرير»، الذي يبرع في تشخيصها، لكنها تبقى أقرب إلى خلاصة لا يمكن استيعابها مجرّدةً عن قراءة مؤلّفات حمدان كاملة، والتي تقوم على فكرة مركزية مفادها أن مصر ذاهبة إلى القوّة أو إلى الانقراض والموت، لأسباب عديدة لا تنقصها وجاهة القول والتحليل، إنّما قد تتطوّر أدوات التفكير بها وفق المتغيّرات الراهنة.

من تلك الأفكار، حديثه عن أرض مصر التي تتعرّض للمرّة الأولى عبر التاريخ للتآكل الجغرافي، حيث أوقف السدّ العالي نموّها أفقياً ورأسياً، وباتت «بلّورة» مركّزة بالتلوث، مع تراجع رصيدها المائي، وتزايد سكّاني كبير يرافقه تدهور الزراعة التي تعني فرص العمل والحياة مع امتداد الرقعة السكنية، إلى جانب متغيّرات دولية تتّصل بتفوّق «إسرائيل» وإهدار نفط العرب والهيمنة الأميركية التي من شأنها تخريب مكانة مصر. مصر القوية الكريمة تستعيدها قوّة العمل والإنتاج مع توزيع عادل للثروات، بحسب حمدان الذي يختزل بهذه المعادلة معنى الدولة العصرية من وجهة نظره، والتي لا تكتمل فيها القوة إلّا بجمال لا يعني سوى العزّة والكرامة بدلاً من العيش تحت الذلّ والاستبداد.

ويضع في الفصل الثاني أهمّ تنظيراته في الجغرافيا، التي اعتبرها أعلى مراحل الثقافة، لكنّها تعيش حالة من الحيرة اليوم لموقعها المفصلي الذي يتوسّط العلوم، وهي تصبح فاقدة لأيّة أهداف وغايات إذا ما افتقدت الأفكار التي لا يمكن من دونها قراءة المعلومات والحقائق وفي صلبها الخريطة التي نَقرأ إلى ما لا نهاية.

أمّا الفصل الثالث، فيستند إلى رؤية استراتيجية لم تفارق كتابات حمدان، وتتلخّص في أنّ قبول العرب نهائياً بضياع فلسطين وتثبيت «إسرائيل» إلى الأبد يمثّل إعلاناً عن حلّ أمّة نفسها واعتبار ذاتها أنها ليست أمّة، وهو انتحار سياسي وقومي، حيث لا يرى حمدان القومية كمعطى أيديولوجي يستمدّ شرعيته من التاريخ أو الدين، بل ينظر إليها في إطار «الطبيعة» الذي تحدّده الجغرافيا وحدها، حيث تمنح وحدة المصالح بين العرب وتناقض مصالحهم مع الكيان الصهيوني، وبذلك يتجاوز الشعارات حول صراع مع العدوّ على أساس ديني أو عرقي أو حتى وجودي.

وفي دراسته لأحوال العالم الإسلامي في الفصل الرابع، ينطلق من «جغرافيا الإسلام» التي لا تتطابق مع جغرافيا المسلمين وتوزّعهم في العالم وتمثيلهم كديانة، إنما تعبّر عن حقيقة علاقة الإسلام بالحضارة والتحضّر اللذين من غيرهما لا يمكن أن قيام قوّة أو كيان لعالم إسلامي، وأنه لا وظيفة سياسية فعّالة «حميدة» للإسلام اليوم إلّا بتحرير فلسطين وتشكيل وحدة يراها في مقابل الولايات المتحدة، لا أوروبا، التي يعتقد بإمكانية التكامل الحضاري معها قياساً بحقب تاريخية ماضية.

جمال حمدان في بورتريه لـ أنس عوض (العربي الجديد)

مغامرة معرفية تعزّزها شخصية راديكالية في مواقفها

قبول العرب بضياع فلسطين هو إعلان أمّة حتّ نفسها

العلاقة مع أوروبا

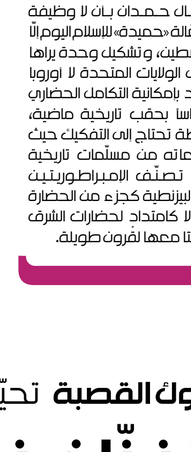

أمن جمال حمدان بأن لا وظيفة سياسية فعّالة «حميدة» للإسلام اليوم إلّا بتحرير فلسطين، وتشكيل وحدة يراها في مقابل الولايات المتحدة لا أوروبا التي يعتقد بإمكانية التكامل الحضاري معها قياساً بحقب تاريخية ماضية، وهي نقطة تحتاج إلى التفكيك حيث تنبثق قناعاته من مسلّمات تاريخية مغلوطة تصنّف الامبراطوريتين اليونانية والبيزنطية كجزء من الحضارة الأوروبية، لا كامتداد لحضارات الشرق التي تفاعلنا معها لقرون طويلة.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

معرض

روك القصبة تحيّة جماعية إلى رشيد طه

تذكّرُ الفنّان في أماكن أحبَّها

بمشاركة نحو ثلاثين فنّاناً من حقول إبداعية مختلفة، يحيي المعرض، المقام حالياً شمال غربي باريس، ذكرى المغنّي الجزائري - الفرنسي الراحل

باريس - العربي الجديد

في مسار المغنّي الجزائري - الفرنسي رشيد طه، لا تُحيل كلمة «شعبيّ» إلى ذلك اللون الموسيقي الذي شكّل واحداً من مصادر إلهامه وملاعبه الموسيقية فحسب، ذلك أن تجربته الغنائية والموسيقية، منذ تشكيله، مع جمال ضيف ومحمد ومختار أميني وغيرهم، فرقة «بطاقة إقامة» في مدينة ليون الفرنسية مطلع الثمانينيات، وحتى رحيله المبكّر قرب باريس عام 2018 (وُلد في سيق، بولاية معسكر الجزائرية، عام 1958)، ظلّت تجربةً قريبةً من الناس، إنْ كان لناحية المواضيع التي توقّف عندها في أغانيه وألبوماته، أو لناحية حضوره كشخصية عامّة بين الجمهور وبين أقرانه في «الوسط الفنّي».

أسئلة الهجرة، والمنفى، والفقر، وتسمية العنصرية التي يعاني منها المهاجرون، ونقد تعالي السُّلطات والنخب الحاكمة؛ كلّ هذه المواضيع شكّلت الخيط الذي انتظمت وفقه مسيرة صاحب «روك القصبة»، الذي لم تُبعده شُهرته الواسعة عن أسئلته الأولى وعن الأماكن التي جاء منها: أماكن المهمّشين، والعمّال، وأبناء الضواحي، والغرباء بشكلٍ عام.

كلّ هذا يجعلُ من حدثٍ يُقام تحيّةً إلى رشيد طه وإحياءً لذكراه في سوق شعبيّ فرنسيّ - أشبه بأسواق الجمعة في بلادنا - أمراً متناسقاً مع ما نعرفه عنه. الحديث هنا عن معرض «روك القصبة: إلى رشيد طه»، الذي افتُتح في الرابع عشر من أيار/ مايو الماضي في «غاليري دوفين» بسوق الخردة والأنتيكا والأغراض المستعملة بضاحية سانت وان الشعبية شمال غرب باريس، ويستمرّ حتى السادس والعشرين من حزيران/ يونيو الجاري. المعرض، الذي يشارك فيه ما يقارب الثلاثين فنّاناً وفنّانة من مختلف الحقول الإبداعية (تشكيل، نحت، صور فوتوغرافية، غناء، موسيقى وأداء)، جاء بمبادرةٍ من النحّات الفرنسي فيليب بيران، الذي كان صديقاً مقرّباً من المغنّي الراحل، وهو الذي عرفه في وقتٍ مبكّر من تجربته.

تتنوّع الأعمال في إحالتها إلى صاحب «ديوان»؛ حيث يحضر بشكل مباشر في بورتريه رسمه التشكيلي روبرت كوميا، وفي صُوَر التقطها له كلّ من مارك. أنطوان سيرّا وبيار تيرّاسون. على أن الإشارة إليه تبدو أقلّ مباشرةً في صُوَر إنريكو دانييتو عن الحرب في الصومال، وفي أعمال ميريام ميشيتّا التركيبية عن الجسد، أو في عملَي فيليب بيران عن الجسد أيضاً، وتجهيزَيْ الآن فيغا حول الدين والموت. إلّا أن كل واحدٍ من هذه الأعمال يُحيل إلى تفصيل من حياة الفنّان الراحل أو من تجربته، وهو الذي لم تغب هذه الأسئلة، أسئلة الحرب، والجسد بوصفها هويّة، وكذلك الدين والاختلاف في الاعتقاد، عن أعماله.

إضافة إلى هذه الأعمال، يشمل المعرض، الذي شهد حفلاتٍ وعروضاً موسيقية استُعيد فيها رشيد طه وأُدّيت فيها أغانيه، صُوَراً ومتعلّقات شخصية للفنّان الراحل، من بينها قبّعته السوداء التي رافقته في العديد من حفلاته، ومعطفه، إضافة إلى غيتاره.

صورٌ ولوحات يظهر فيها طه وأعمالٌ أُخرى تحيل إلى تفاصيل من تجربته

جانب من الأعمال المعروضة، ومنها (إلى أقصى اليمين) بورتريه يظهر فيه رشيد طه، للفنّان روبرت كوميا

مفكّرة المترجم

إضاءة على كُتّابٍ إيطاليين

مينا شحاتة

تقف هذه الزاوية مع مترجمين عرب في مشاغلهم «الترجمة اتصال ذهني بروح الكاتب»، يقول المترجم المصري في حديثه إلى «العربي الجديد»

القاهرة - **العربي الجديد**

■ كيف بدأت حكايتك مع الترجمة؟

بدأتُ رحلة الترجمة منذ أكثر من عشر سنوات، نتيجة عملي مُدرّساً للغة الإيطالية في كلية الآداب بـ «جامعة الفيّوم» المصرية، حيث عملتُ في «مركز اللغات والترجمة» في الجامعة ذاتها، ومنها بدأت الاهتمام بصورة أكبر بالترجمة الأدبية التي كانت بدايتي معها منذ قرابة عامين مع دار «العربي للنشر والتوزيع» وراوية «أحلام سعيدة يا صغيري» للكاتب والصحافي الإيطالي ماسيمو غرامّليني، خصوصًا لكونها موضوع رسالتي للماجستير في «كلية الألسن» بـ «جامعة عين شمس».

■ ما هي آخر الترجمات التي نشرتها، وماذا تترجم الآن؟

أسعى حالياً إلى ترجمة أهمّ أعمال الكاتبة الإيطالية الحاصلة على نوبل غراتسيا ديليدّا. وبالفعل، ترجمتُ لها روايتي «رماد» و«إلياس بورتولو» الصادرتين مؤخّراً عن «دار سؤال» اللبنانية. أمّا الآن، فأوشكت على الانتهاء من ترجمة روايتها الملحمية «طريق الشر» التي سيجري نشرها مع «دار المتنبّي» في السعودية.

■ ما هي، برأيك، أبرز العقبات في وجه المترجم العربي؟

العمل في مجال الترجمة ليس بالأمر الهيّن على الإطلاق؛ فبرأيي أنّ المُترجم لا يُحسَب مترجماً فحسب، وإنّما كاتب ومحرّر ومراجع وربّما شاعر أيضاً.

بطاقة

مترجم من الإيطالية إلى العربية من مواليد الفيوم في مصر عام 1987، يعمل مدرّساً في كلية الآداب بـ جامعة الفيوم. ترجمَ أعمالاً أدبية متنوّعة؛ من بينها: «أحلام سعيدة يا صغيري» (2020) لـ ماسّيمو غرامّليني، و«من التالي» (2020) لـ لويدجي بيرانديلّو، و«شجرة اللبلاب» (2021)، و«رماد» و«إلياس بورتولو» (2022) لـ غراتسيا ديليدّا.

الأمر لا يتعلّق بالعقبات أكثر من تعلّقه بمهارات المترجم والعمل على تطويرها؛ ذلك أنّ النص واللغة في حراكٍ مستمرّ، الأمر الذي إذا لم يواكبه المترجم، خصوصاً في الأعمال الحديثة، ربّما يُهدر قيمة النص وأصالته. أزعم أنّ العقبة تكمن، هنا، في فردية عملية الترجمة؛ فالأمر لا يتعلّق بمؤسّسات أو هيئات حكومية تسعى لتطوير مهارات المترجم، وإنما الأمر يقع على كاهله فحسب.

■ هناك قول بأنّ المترجم العربي لا يعترف بدور المحرِّر، هل ثمة من يحرّر ترجماتك بعد الانتهاء، منها؟

بالطبع، أغلب الروايات التي ترجمتُها جرت مراجعتها من قِبل محرّرين لهم كلّ الفضل في إخراج النص المترجَم بصورة سليمة. لكنّ المشكلة تكمن، في بعض الأحيان، في تدخّل المحرّر في سياق النصّ بصورة مبالغة، وتغيير أسلوب الكاتب الذي ربّما كان يميل إلى غموضٍ لم يدركه المُحرّر.

■ كيف هي علاقتك مع الناشر، ولا سيما في مسألة اختيار العناوين المترجمة؟

حتى الآن، علاقتي مع دُور النشر كافّة علاقة طيبة؛ فهُم يثقون في قرار المترجم، بدايةً من اختيار الأعمال المترجَمة وحتى ترشيح العناوين المناسبة.

■ هل هناك اعتبارات سياسية لاختيارك للأعمال التي تترجمها، وإلى أي درجة تتوقف عند الطرح السياسي للمادة المترجمة أو لمواقف الكاتب السياسية؟

كلّ الأعمال التي ترجمتها، حتى الآن، لم تتعرّض لقضايا سياسية بشكل مباشر، لكن أغلبها يناقش قضايا اجتماعية ودينية، أذكر منها على سبيل المثال رواية «بعد الطلاق» لـ غراتسيا ديليدّا؛ حيث تناولت من خلالها دوافع الطّلاق على مستوى الفرد والمجتمع، والمآزق التي تُعدّ بلا مخرج وفقاً لمضمون الرواية.

■ كيف هي علاقتك مع الكاتب الذي تترجم له؟

إن كنّا نتحدّث عن أعمال حديثة، فهناك علاقة طيّبة تربطني بالكتّاب الذين أُترجم أعمالهم إلى العربية، كما أتعمّد إرسال غلاف الترجمة العربية إليهم فور صدوره، الأمر الذي يُسعدهم كثيراً. أمّا إن كنّا نتحدّث عن الأعمال الكلاسيكية، فدعني أؤكّد لك أنّ عملية الترجمة تجعلنا على اتصال ذهني بروح الكاتب حتى نستطيع احتواء النص وسبر أغواره، لا سيّما أنّ المترجم في رأيي يُعدّ بمثابة رفيق للمؤلّف، يحيا خبرتَه، ويفهم مقاصد النصّ حتى إن لم يذكرها علناً.

■ كثيراً ما يكون المترجم العربي كاتباً، صاحب إنتاج أو صاحب أسلوب في ترجمته، كيف هي العلاقة بين الكاتب والمترجم في داخلك؟

بدأتُ رحلة الترجمة من خلال كتابات بسيطة لم تُنشَر، ولا شكّ في أن المترجم يُعد كاتباً في الأصل؛ فالمترجم يهدم النص ليبنيه ويركّبه مرّة أخرى بلغة جديدة يترك فيها أثره وأسلوبه مهما بلغت دقّته.

■ كيف تنظر إلى جوائز الترجمة العربية على قلّتها؟

لم أتقدّم بعد إلى أيّة مسابقات تتعلق بالترجمة، ربما بعد الانتهاء من مشروع الترجمة الحالي أفكّر في الأمر.

يُعدّ المترجم كاتباً ومحرّراً ومراجعاً، وربّما شاعراً

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

مينا شحاتة

فعاليات

يتواصل، حتى غد الثلاثاء، في «مكتبة قطر الوطنية» بالدوحة معرض **رسائل عربية من أرمينيا**. يُضيء المعرض على قرون من العلاقات السياسية والثقافية بين العرب والأرمن، عبر مخطوطات عربية وأدوات وعملات نقدية تعود إلى فترات مختلفة من تاريخ الخلافة الإسلامية يحتفظ بها عددٌ من المتاحف الأرمينية.

يُعرض، عند الخامسة من مساء بعد غد، في «مؤسّسة عبد المحسن القطّان» برام الله، الفيلمُ الوثائقي **القوّة الشعبية** (1979). العملُ ثالث أجزاء سلسلة «معركة تشيلي» للمُخرج التشيلي **باتريتسيو غوزمان**، ويتناول التجمّعات المحلّية التي نشأت في تشيلي خلال حُكم سلفادور الليندي، لتكون خطّ دفاع بوجه هجمات مالكي المصانع والاتحادات المهنية المعارضة لحكومته.

تنطلق، الخميس المقبل، فعاليات الدورة الخامسة من **المهرجان الدولي لفنّ سيرك الشارع** الذي تُنظّمه «**جمعية بابا روني لفنون السيرك**»، وتستمرّ حتى الثامن والعشرين من الشهر الجاري. تشارك في التظاهرة فرقٌ من أحد عشر بلداً، وتشمل العروضُ: تونس العاصمة، وبن عروس، وصفاقس، ومنّوبة، والكاف، وزغوان.

حتى الثامن والعشرين من الشهر الجاري، يتواصل في «رواق محمّد راسم» بالجزائر العاصمة معرض **مناظر القبائل** للتشكيلي الجزائري **بشير بن الشيخ**. بأسلوب الانطباعية التصويرية، تنقل لوحات المعرض مناظر ومشاهدَ من حياة الفلّاحين اليومية بين الرعي والحصاد وجني الزيتون في منطقة القبائل الجزائرية.